٧ ـ الميسر والأزلام

للأستاذ عبد السلام محمد هارون

الأزلام العربية

لم يكن نظام الاستقسام بالأزلام نظاما موحدا يظله ظل الوثنية ، بل كان إلى جانب هذا النظام الديني نظام آخر مدني يلمحه الباحث من ثنايا أخبار العرب

١ — جاء في اللسان[1] تعليقا على قول سراقة : « فأخرجت الأزلام[2] » ، قال : « وهي القداح التي كانت في الجاهلية ، كان الرجل منهم يضعها في وعاء له فإذا أراد سفرا أو رواحا أو أمرا مهما أدخل يده فأخرج منها زلما ، فإن خرج الأمر مضى لشأنه ، وإن خرج النهي كف عنه ولم يفعله »

٢ — وجاء فيه أيضا : « وربما كان مع الرجل زلمان وضعهما في قرابه ، فإذا أراد الاستقسام أخرج أحدهما »

٣ — وقال أبو حيان[3] : « وأزلام العرب ثلاثة أنواع : أحدها الثلاثة التي يتخذها كل إنسان لنفسه ، في أحدها (افعل) وفي الآخر (لا تفعل) ، والثالث غفل ، فيجعلها في خريطة ، فإذا أراد فعل شيء أدخل يده في الخريطة منسابة وائتمر بما خرج له من الآمر أو الناهي . وإن خرج الغفل أعاد الضرب

ثم ذكر النوع الثاني ، وهي القداح السبعة التي كانت عند « هبل » ، والنوع الثالث وهي قداح اليسر

علة تحريم الاستقسام بالأزلام

أما الاستقسام بها على الوجه الديني المتقدم فلم يختلف العلماء في تحريمه وأنه فسق ، لأنهم كانوا يلجأون إلى الأنصاب وبيوت الأصنام ، وكانوا يظنون أنها هي التي تخرج لهم في القدح ما يمتثلونه[4]

قال الزمخشري[5] : « فإن قلت : لم كان استقسام المسافر وغيره بالأزلام لتعرف الحال فسقا ؟ قلت : لأنه دخول في علم الغيب الذي استأثر به علام الغيوب ، وقال : لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله ، واعتقاد أن إليه طريقا إلى استنباطه . وقوله أمرني ربي ونهاني ربي افتراء على الله ، وما يدريه أنه أمره أو نهاه . والكهنة والمنجمون بهذه المثابة . وإن كان أراد بالرب الصنم — فقد روى أنهم كانوا يجيلونها عند أصنامهم — فأمره ظاهر »

وأما الاستقسام بها على الوجه الآخر الذي لا تدخل فيه الأصنام ولا تستشار الكهان فأمر اختلف فيه العلماء كما اختلفوا في طلب معرفة الغيب بأي وسيلة من الوسائل[6]

قال الآلوسي[7] : « واستشكل تحريم ما ذكر بأنه من جملة

---

(١) لسان العرب مادة (زلم)

(٢) أنظر ما سبق في المقال الرابع (١٠١٢ ص ١٣٠٨ — ١٣٠٩)

ورد الحرف والصحف وما أكثره . وأغرى بحفظه حتى كاد أن يأتي عليه

تلك كانت ، في حياة المازني ، بداية الشوط وفاتحة الكتاب . . وهي بداية لم تكن تبعث كثيرا على الأمل أو تغري بالثقة والاطمئنان ، فقد كانت في جلتها تجربة قاسية من تلك التجارب التي تمتحن بها معادن الرجال ؛ اتسمت ، كما رأينا ، بالصبر والجهد والكفاح ، وزادها وطأة على وطأتها ما كان يحتدم بنفس المازني الشاب من إرادة الحياة وقوة الإحساس بها ، وما كان يرد عليها من عواطف ومشاعر لم تكن لتجد سبيلها إلى الاستعلان بله الانطلاق. ولقد كان صبر المازني على هذه التجربة القاسية وصموده لها إحدى عجائب بنيته المستدقة التي كانت تزيدها مشقة العمل وبهاظة العبء — في كافة مراحل العمر — فرط جلد ومصابرة واحتمال ... وكأنما كانت الآلام والأعباء نصيب المازني المقدور في الحياة ، وكأنما كان مهيأ لها بطبيعته وتكوينه منذ صباه

(يتبع) محمود محمد حمدان

(٣) في تفسيره (٣ : ٤٢٤)

(٤) الميسر والقداح ٤١

(٥) الكشاف (١ : ٢٤٤)

(٦) أنظر تفصيل ذلك في الفخر الرازي (٣ : ٣٥٧)

(٧) بلوغ الأرب (٣ : ١٦٨)

التفاؤل ، وقد كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يحب الفأل »

القرعة

بضم القاف ، واشتقاقها من القرع بمعنى الضرب . قال ابن فارس[٨] : « والإقراع والمقارعة هى المساهمة ، وسميت بذلك لأنها شئ كأنه يضرب »

والقرعة قديمة عند العرب ، ولها طرق شتى[٩] :

١ — فمن سعيد بن المسيب أنه كان يأخذ الخواتيم فيضمها فى كمه ، فمن أخرج أولا فهو القارع

٢ — وقال أبو داود : قلت لأبى عبد الله[١٠] فى القرعة : يكتبون رقاعا ؟ قال : إن شاءوا رقاعا ، وإن شاءوا خواتيمهم

٣ — وعن الأثرم[١١] ، قلت لأبى عبدالله : كيف القرعة ؟ فقال : سعيد بن جبير يقول بالخواتيم أقرع بين اثنين فى ثوب ، فأخرج خاتم هذا وخاتم هذا . قال : ثم يخرجون الخواتيم ثم ترفع إلى رجل فيخرج منها واحدا . قلت لأبى عبد الله : فإن مالكا يقول : تكتب رقاعا وتجعل فى طين . قال : وهذا أيضا . وقيل لأبى عبد الله : إن الناس يقولون : القرعة هكذا ، يضم الرجل أصابعه الثلاث ثم يفتحها . فأنكرها وقال : ليست هكذا .

٤ وجاء فى صحيح البخارى (فى حديث الإفك) ، عن عائشة : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا أراد سفرا أقرع بين أزواجه ، فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه » . قالت عائشة : « فأقرع بيننا فى غزوة غزاها فخرج فيها سهمى ، فخرجت معه بعد أن أنزل الحجاب »

٣ — وعقد البخارى فى صحيحه بابا سماه (باب الاسهام فى الأذان) ، قال فيه : « ويذكر أن قوما اختلفوا فى الأذان ، فأقرع بينهم سعد »

قال ابن حجر[١٢] : « قال الخطابى وغيره : قيل له الاسهام لأنهم كانوا يكتبون أسماءهم على سهام إذا اختلفوا فى الشئ ، فمن خرج سهمه غلب »

وكان من خبر هذا الأذان الذى حدثت فيه القرعة ، ما رواه البيهقى[١٣] عن ابن شبرمة قال: « تشاجر الناس فى الأذان بالقادسية فاختصموا إلى سعد فأقرع بينهم » . وكان المسلمون فى الصدر الأول يعدون الأذان أمرا خطيرا يسمون إليه ، ويحفظون فى ذلك ما رواه أبو هريرة من قوله صلى الله عليه وسلم[١٤] : « لو يعلم الناس ما فى النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا ، والمراد بالنداء فى هذا الحديث هو الأذان

وروى الطبرى فى تاريخه[١٥] حادث هذا الأذان رواية عن عبد الله بن شبرمة عن شقيق قال : « اقتحمنا القادسية صدر النهار فتراجفنا وقد أتى الصلاة ، وقد أصيب المؤذن ، فتشاح الناس فى الأذان حتى كادوا أن يجتلدوا بالسيوف ، فأقرع سعد بينهم ، فخرج سهم رجل فأذن» . وسعد هذا هو سعد بن أبى وقاص

٤ — وقال ابن سيرين[١٦] حين بلغه أن عمر بن عبد العزيز أقرع بين القطم[١٧] : « ما كنت أرى هذا إلا من الاستقسام بالأزلام . »

فأنت ترى أن القرعة تمت بسبب إلى الاستقسام بالأزلام ، ولكنها لا تمت إليه بسبب الحرمة ، إلا أن يترتب عليها ضياع حق مشروع ، أو تطاول إلى معرفة الغيب وادعائه . أما إذا جعلت وسيلة لفض تزاع ، أو تخل عن مسئولية المحاباة والإيثار ، أو لاستملان البراءة عن الميول الشخصية ، فلا ريب أنها فى تلك الحال تكون أمرا مستحسنا

القرعة فى الكتب الربانية القديمة

قد مر من طرق القرعة ما كان من أمر زكريا ويونس عليهما السلام ، وكان فى الآيتين الكريمتين اللتين وردتا بشأنهما حجة من حجج الأئمة الأربعة فى تجويز القرعة بناء على القاعدة التى

(٨) فى مقاييس اللغة (٥ : ٧٢)
(٩) أنظر الطرق الحكمية لابن القيم ص ٢٦٥ وما بعدها
(١٠) هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ، روى عنه من أصحاب الحديث البخارى ، ومسلم ، وأبو داود ، تهذيب التهذيب
(١١) أبو بكر الأثرم البصرى ، واسمه حكيم ، أحد تلامذة أحمد ترجم له فى تهذيب التهذيب
(١٢) فى فتح البارى (٢ : ٩٧)
(١٣) السنن الكبرى (١ : ٤٢٩)
(١٤) رواه البخارى فى باب الأذان
(١٥) ليلة القادسية فى حوادث سنة ١٤
(١٦) الميسر والقداح ٤٠ — ٤١
(١٧) جمع قطيم ، وهو من يقطع عن الرفاق

تقول : « شرع من قبلنا شرع لنا »

وكانت القرعة عند الإسرائيليين بمثابة استدعاء للأمر الإلهي في القضايا التي تعرض لهم . جاء في سفر الأمثال (١٦ : ٣٣) : « القرعة تلقى في الحضن ومن الرب حكمها » . وهذه الكلمة تسجل أيضا صورة من صور مزاولة القرعة التي تلقى بها القرعة في أحضان المتقارعين

فكان الإسرائيليون يلجأون إلى استفتاء القرعة في كثير من القضايا

١ — منها تبيين المذنب والمخطئ إذا اختلفوا فيه : « فقال شاول : ألقوا بيني وبين يوناثان ابني . فأخذ يوناثان » . صموئيل الأول (١٤ : ٤٢)

٢ — وتقسيم البلاد المقدسة بين الأسباط : « إنما بالقرعة تقسم الأرض. حسب أسماء أسباط آبائهم . يملكون حسب القرعة . يقسم نصيبهم بين كثير وقليل » . العدد (٢٦ : ٥٥ ، ٥٦) . وانظر أيضا سفر يشوع الإصحاحات ١٣ — ١٨

٣ — وفي مزاولة الواجبات الدينية جاء في الإصحاح الأول من إنجيل لوقا عن الكلام على زكريا : « فبينما هو يكهن في نوبة فرقته أمام الله حسب عادة الكهنوت أصابته القرعة أن يدخل إلى هيكل الرب ويبخر »

٤ — واختيار الحيوان للذبيحة المقدسة : « ويلقي هارون على التيسين قرعتين : قرعة للرب وقرعة لعزازيل . ويقرب هارون التيس الذي خرجت عليه القرعة للرب ويعمله ذبيحة خطية » لاويين (١٦ : ٨ — ٩)

وقد استعملها أيضا (أعداء) الإسرائيليين ، جاء في سفر (أستير) أن هامان الوزير أراد أن يهلك اليهود ، فكان يصطنع القرعة لكي يعرف الوقت المناسب للفتك بهم في جميع أقطار الأرض : « في الشهر الأول أي شهر نيسان في السنة الثانية عشرة للملك أحشويروش كانوا يلقون (فورا) أي قرعة أمام هامان من يوم إلى يوم ومن شهر إلى شهر إلى الثاني عشر ، أي شهر أذار » وقد استمرت هذه القرعة سنة كاملة . ولكن هامان أخفق في سعيه لدى الملك ، وذلك بالجهود المضادة التي بذلها أستير ومردخاي اليهوديان ، اللذين تمكنا من إحفاظ الملك على وزيره حتى صلبه في اليوم الثالث عشر من شهر أذار ، فاتخذ اليهود يومي ١٤ ، ١٥ من هذا الشهر عيدا سموه « عيد الفوريم » جمع (فورا) وهي القرعة التي كان يصطنعها هامان لتعيين موعد الإبادة واستعملها المسيحيون ايضا :

١ — فيها انتخب متياس : « ثم ألقوا قرعتهم فوقعت القرعة على متياس ، فحسب مع الأحد عشر رسولا » أعمال (١ : ٢٦)

٢ — واقتسمت ثياب المسيح عليه السلام « اقتسموا ثيابه مقترعين عليها » إنجيل متى (٢٧ : ٣٥) ومرقس (١٥ : ٢٤) ولوقا (٢٣ : ٣٤) والمزامير (٢٢ : ١٨)

للبحث بقية

عبد السلام محمد هارون

دفاع عن البلاغة

للأستاذ أحمد حسن الزيات

كتاب يعرض قضية البلاغة العربية أجمل معرض ويدافع عنها أبلغ دفاع فيذكر أسباب التنكر للبلاغة ، والعلاقة بين الطبع والصنعة ، ووحدة البلاغة ، وآلة البلاغة ... الخ

من فصوله المبتكرة : الذوق ، والأسلوب ، والمذهب الكتابي المعاصر وزعماؤه وأتباعه ، ودعاة العامية ، ودعاة الرمزية ، وموقف البلاغة من هؤلاء وأولئك ... الخ

يقع في ١٩٤ صفحة وثمنه خمسة عشر قرشا

عدا أجرة البريد